الفصل الحادي عشر

الأذرع الطويلة وخيبة الأمل

لم يُخْفِ الخميني أطماعه التوسعية منذ نجح في الإطاحة بالشاه، فَأَعْلَنَ مِرَارًا وتَكْرَارًا عزمه على تصدير الثورة إلى الدول المجاورة وإلى العالم الإسلامي بأسره، تحت زعم إقامة الدولة الإسلامية العادلة بحكومتها الإسلامية من منظوره الشيعي الذي لن يلاقي ترحيبًا في دول الجوار عربية العرق سنية المذهب، ومنذ اليوم الأول لنجاح الثورة الإيرانية توجست دول الخليج خيفةً من نوايا الخميني.

لكن حتى يُصَدِّر الخميني ثورته المزعومة، وجب عليه أولًا إيجاد أتباع في هذه البلدان يكونون مخلب قط له ينفذون مخططاته بكل دقة؛ وصولًا لانضوائها بشكل كامل تحت ولاية الفقيه، وكانت عين الخميني مُرَكَّزَة على ثلاث دول كنواة أولية لدولته الإسلامية التي ستكون اللبنة الأولى لإمبراطوريته الفارسية، وهي:

العراق، سوريا، لبنان، مع إيجاد خلايا نائمة في السعودية والبحرين الكويت؛ تمهيدًا لضمها لإمبراطوريته المستقبلية.

كان العراق هو نقطة البداية لحلم الخميني؛ لما يتمتع به من وجود عدد كبير من الشيعة تصل نسبته في بعض الإحصائيات لأربعين في المائة من السكان، وحتى يكون تدخل الخميني في العراق مقبولًا بل ومطلوبًا، تاجر الخميني

بشعارات دعم القضية الفلسطينية، ورفع شعار: "الطريق إلى القدس يمر عبر كربلاء".

ولم يكن لما قاله الخميني سوى معنى واحد: إسقاط نظام البعث الحاكم في العراق.

بتحريض من الخميني، تظاهر آلاف الإيرانيين أمام السفارة العراقية بشارع مصدق بالعاصمة طهران هاتفين بسقوط النظام العراقي للتهنئة بانتصار الثورة، مُلْصِقِين على جدران السفارة الملصقات المليئة بالسباب لنظام صدام حسين، وتلقى السفير العراقي تهديدات بالقتل، واتهمه الخميني بالجاسوسية وتدبير المؤامرات.

احتج العراق رسميًا على التصرفات الإيرانية الشعبية والرسمية، لَكِنَّ الخميني وجماهيره المُغَيَّبَة تمادوا في استفزازاتهم، واتهم الخميني العراق ببناء قصر للشاه على حدود البلدين ليقود منه الثورة المضادة، وبتهريب السلاح للأحوازيين المعارضين للنظام، لَكِنَّ العراق أبى أن يَنْجَرَّ إلى فخ المواجهة مع الصفويين الجُدُد.

الثاني والعشرون من يونيو ١٩٧٩م، أبلغ وزير الخارجية إبراهيم يزدي نظيره العراقي رفض حكومته لاتفاقية الجزائر، وأن الأمور لا تزال عالقة بين الجانبين، وفي الفترة بين الحادي عشر والسادس والعشرين من أكتوبر ١٩٧٩م تعرضت القنصلية العراقية في المحمرة لأربع هجمات من عناصر الحرس الثوري، وتَعَدَّى الأمر الداخل الإيراني ليصبح عابرًا للحدود.

عبر إذاعة طهران العربية، كان الخميني يوجه أحاديثه النارية لشيعة العراق مطالبًا إياهم بالثورة على ما أسماه: "النظام الناصبي الكافر"، وتَحَرَّكَ أعضاء حزب الدعوة الذي يتزعمه المرجع الشيعي محمد باقر الصدر المقرب من الخميني، مثل: نوري المالكي وإبراهيم الجعفري لإشاعة الفوضى في العراق وعلى وجه التحديد العاصمة بغداد عبر سلسلة من التفجيرات، وعلى إثر الملاحقات الأمنية العنيفة هرب نوري المالكي إلى إيران عام ١٩٧٩م، ثم هرب إبراهيم الجعفري عضو الحزب لسوريا في فبراير ١٩٨٠م.

تحركت كوادر الحزب الشابة ضد الحكومة العراقية من جديد بخطط أخرى أوجدت حالة من الهلع في أوساط الشعب؛ مما اضطر صدام حسين لإصدار قانون في الحادي والثلاثين من مارس ١٩٨٠م يقضي بإعدام كل من يثبت انتماؤه لهذا الحزب، لكن ذلك لم يوقف أنشطة الحزب التخريبية.

الثاني من أبريل ١٩٨٠م، تعرض طارق عزيز وزير الخارجية العراقي لمحاولة اغتيال نفذها عناصر من حزب الدعوة؛ فَرَدَّ عليها صدام بوضع محمد باقر الصدر تحت الإقامة الجبرية، وحتى يرتهن الحزب بقرار الخميني ذي النزعة الفارسية المعروف عنه عدائه للعرب وجب اختفاء باقر الصدر من الصورة.

أرسل محمد باقر الصدر موفدًا عنه لطهران يُدْعَى محمود هاشمي الشهرودي؛ ليطلب من الخميني التدخل لدى نظام بغداد لرفع الإقامة الجبرية عنه، وعد الخميني ضيفه بتحقيق طلب الصدر، لكن السبعيني الماكر وجدها فرصة لا تعوض للخلاص من منافسه العربي على ولاية الفقيه بالرغم من إعلان الصدر ولاءه للخميني كولي فقيه للمسلمين.

وجه الخميني رسالة لباقر الصدر عبر إذاعة طهران العربية جاء فيها: "سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد باقر الصدر دامت بركاته، علمنا أن سماحتكم تعتزمون مغادرة العراق بسبب بعض الحوادث، إنني لا أرى من الصالح مغادرتكم النجف مركز العلوم الإسلامية، وإنني قلق من هذا الأمر، آمل إن شاء الله إزالة قلق سماحتكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

كان ادعاء الخميني بمغادرة باقر الصدر للعراق كاذبًا، حتى باقر الصدر نفسه فوجئ بما قاله الخميني عبر إذاعة طهران العربية المراقبة من نظام صدام وقال الصدر في حزن: "لقد غدر بي الخميني".

فلم يكن لما قاله الخميني سوى معنى واحد وصل السلطات العراقية:

أن باقر الصدر بهروبه المزعوم خارج العراق إنما يريد استنساخ التجربة الخمينية في تحريض شيعة العراق على النظام الحاكم وصولًا إلى إسقاطه كما حدث مع الشاه، لذا فقد قرر صدام قطع الشك باليقين، وألقى القبض على باقر الصدر وشقيقته بنت الهدى وأعدمهما في التاسع من أبريل ١٩٨٠م.

في نفس اليوم أعلن وزير الخارجية الإيراني الجديد صادق قطب زادة تصميم بلاده على إسقاط النظام العراقي، وأنَّ بلاده في حِلٍّ من اتفاقية الجزائر، وفي الثالث والعشرين من الشهر نفسه أعلن رئيس الأركان أن جيش بلاده ينتظر الأوامر لاحتلال العراق، وبعد عدة أشهر تدهورت الأمور بشكل خطير.

أواخر أغسطس ١٩٨٠م، احتُجِزَ الدبلوماسيون العراقيون بقنصلية بلادهم في خرمشهر بأوامر من الخميني، وكان رد صدام حسين على خصمه اللدود حازمًا:

"أطلِق سراح هؤلاء خلال أربع وعشرين ساعة، وإلا فدبلوماسيوك سيلاقون نفس المصير".

خشي الخميني مما سمعه، وفي اليوم التالي حملت طائرة إيرانية الدبلوماسيين العراقيين إلى مطار بغداد، وقطع بعدها العراق علاقاته الدبلوماسية مع إيران.

مع اندلاع الحرب مع العراق في الثاني والعشرين من سبتمبر ١٩٨٠م، هرب الشقيقان عبد العزيز ومحمد باقر الحكيم إلى إيران بلد جدودهما (حيث ينحدر آل الحكيم من شيراز)، وانضما لمعسكرات الحرس الثوري حيث أشرف على تدريبهما المشرف عن الحرس الثوري على خامنئي ثم أعلنا قيام المجلس الإسلامي في العراق، واستفاد الخميني منهما في الاستجواب و التعذيب الوحشي للأسرى العراقيين، الذي كان يصل إلى ربط يدى الأسير إلى سيارتين تتحركان بأقصى سرعة في اتجاهين مختلفين فيتمزق الأسير إربًا.

ذراع ثان استخدمه الخميني في مخططه الخبيث ألا وهو أكراد شمال العراق بقيادة مسعود البرزاني، فقد استقبله الخميني وأعاد سيرة الشاه في إثارة القلاقل في شمال العراق ممدًا البشمركة بالسلاح لقتال حكومة بغداد، في انتظار أن يرد الأكراد دينه في وقت لاحق.

لم يتعظ البرزاني وزمرته من أنصار جلال الطالباني، لا من غدر الإيرانيين بأبيه قبل سنوات قليلة عندما تخلى عنهم الشاه، ولا مما يرتكبه الحرس الثوري من مجازر في قرى كردستان إيران، ورَدُّوا جميل الخميني بأن قدموا الدعم والمساندة والمعلومات الاستخباراتية للسافاما، وكانت قوات البشمركة الكردية في الصفوف الأولى للقوات الإيرانية التي غزت مدن حلبجة وحاج عمران

وبنجوين وجوارته في شمال العراق، إضافة لنشاطهم في تدمير الاقتصاد العراقي إبان الحرب بتخريب أنابيب النفط المتجهة لميناء جيهان التركي لتصدر للخارج، ووصلت العِمَالَة بأكراد العراق إلى محاولة اغتيال صدام حسين في يوليو ١٩٨٢م، والتي رَدَّ عليها بقسوة مرتكبًا مجزرة الدجيل المروعة.

أما ثالث أذرع الخميني فكان تَحَالفه مع نظام حافظ الأسد النصيري في سوريا، وقد قدم الأسد خدمات جليلة للخميني بمنحه نشطاء الثورة كصادق قطب زادة وإبراهيم يزدي جوازات سفر سورية لتسهيل حركتهم، وكان النظام السوري من أوائل المهنئين بنجاح الثورة الإيرانية، وبدأ تدشين التحالف الاستراتيجي بين النظامين بعد أشهر قليلة من انتصار الثورة.

الخامس عشر من أغسطس ١٩٧٩م، وصل عبد الحليم خدام وزير الخارجية السوري إلى طهران؛ تلبيةً لدعوة تلقاها من نظيره الإيراني إبراهيم يزدي مطلع نفس الشهر، وكان في استقباله إبراهيم يزدي وصادق طبطبائي مستشار الخميني وصهره، استراح خدام من وَعْثَاء السفر في هذا اليوم قبل أن يبدأ في جدول أعمال زيارته المتخم بالمهام.

صباح اليوم التالي، التقى خدام برئيس الحكومة مهدي بازركان الذي أكد له عمل حكومة الثورة الإيرانية على بناء علاقات قوية مع سوريا، ورَدَّ عليه خدام بتمنياته انتقال العلاقات بين البلدين بل والعالم العربي من مرحلة التعاون إلى مرحلة التكامل، واتفق الجانبان على تنسيق الجهود فيما بينهما في القضايا المشتركة.

انحصرت أهداف حافظ الأسد من تحالفه مع إيران في هدفين:

الأول: إيجاد حليف ضد إسرائيل بعدما تأزمت العلاقة بين حافظ وحكومة بيجين التي أعقبت حكومة رابين.

الثاني: الخلاص من النظام العراقي المناوئ للنظامين، والساعي للعب دور شرطي المنطقة.

وقد كان للأسد دور لا ينكر في هذا الصدد؛ فقد كانت المخابرات السورية تورد الأسلحة للجماعات الشيعية المعارضة لنظام صدام حسين عبر السفارة السورية في بغداد، وما إن انتبه صدام حسين لهذا الأمر حتى أغلق السفارة السورية وقطع العلاقات الدبلوماسية مع دمشق في السادس والعشرين من أغسطس ١٩٨٠م.

ولا غرو في طعن حافظ الأسد للعراق في ظهره، فهو إلى جانب عدائه الشخصي لصدام حسين يجمعه انتمائه المذهبي الشيعي مع الخميني، إضافةً إلى أصول عائلته الفارسية التي تعود إلى أصفهان، وبذلك يبطل العجب عن هذا التحالف الشاذ بين دولة عربية بحجم سوريا، مع نظام يمقت العرب مقتًا لا يكنه لهم حتى صليبيو أوروبا.

وخلال الحرب، كان الأسد سندًا حقيقيًا للخميني:

١- فقد سمح للطيران الإيراني في بادئ الأمر بالتزود بالوقود من المطارات السورية، ثم أقام لسلاح الجو الإيراني قواعد جوية على الأراضي السورية يقصف منها الأراضي العراقية.

٢- قطع خط النفط العراقي الواصل بين مصفاة كركوك وميناء بانياس السوري؛ فتسبب ذلك في خسائر اقتصادية للعراق وصلت إلى ربع مليار دولار.

٣- اشترى النفط الإيراني المنقول بالحاويات ليعوض النقص في احتياجاته النفط وينعش الاقتصاد الإيراني المتضرر من الحرب.

٤- أرسل ضباطًا لتدريب القوات الإيرانية ومساعدتها على جبهات القتال.

٥- استيراد أسلحة من دول الغرب باسم سوريا ثم توريدها لإيران.

٦- إقناع حلفائه السوفييت بمساعدة دول أوروبا الشرقية لإيران ببيعها السلاح اللازم في حربها ضد العراق.

وكما استفاد الخميني من تحالفه مع الأسد، استفاد من لعبة المساومة التي يجيدها بأن طلب من المخبول الليبي معمر القذافي أربعة وعشرين صاروخ سكود مقابل طي صفحة الإمام الشيعي موسى الصدر الذي اختفى في ليبيا عام ١٩٧٨م، وعدم تحميل نظامه المسئولية عما حدث، ونظرًا لخوف القذافي علاوةً على كراهيته لصدام وافق على الطلب الإيراني.

رَأَبَت الحرب مع العراق الشرخ الذي بدأ في الظهور بين بعض طوائف الشعب والولي الفقيه، واستغل الخميني الظرف وحشد مقاتلين من الصبية بدءًا من سن الثانية عشرة، كَوَّنَ بهم ميليشيا مسلحة أطلق عليها اسم أنصار حزب الله، وزَجَّ بهم في ميادين القتال باسم القتال دفاعًا عن الحسين، وظهر ذلك في الأشرطة الحمراء التي كانوا يربطونها على أيديهم ورءوسهم وقد كتب عليها: (مظلوم يا حسين)، كما فتح الحرس الثوري -وتحديدًا فيلق القدس (قوات النخبة)- الباب أمام المتطوعين للحرب المقدسة كما أسماها الخميني، ودارت رحى الحرب المجنونة تحصد آلاف القتلى لا لشيء سوى وهم الزعامة الخمينية.

تفوقت القوات العراقية في بداية الحرب وحتى أواخر عام ١٩٨١م، حيث بدأت موازين المعركة تتغير لصالح الإيرانيين؛ حيث استعاد الحرس الثوري مدينة خرمشهر الاستراتيجية الأحوازية في السادس عشر من نوفمبر ١٩٨١م، ثم مدينة دزفول في العشرين من مارس ١٩٨٢م ما اضطر صدام حسين لطلب الوساطة من منظمة المؤتمر الإسلامي.

شَكَّلَت المنظمة على الفور لجنةً للوساطة أُطْلِقَ عليها: (لجنة المساعي الحميدة) ضَمَّت بعض رؤساء الدول الإسلامية، مثل: الرئيس الغيني أحمد سيكتوري، ورئيس منظمة التحرير ياسر عرفات، وذهب الوفد إلى طهران لعرض الوساطة على الخميني الذي رفضها كما رفض وساطة عرفات قبلها، ورد على الوفد بعبارة مقتضبة: "الحرب حتى النصر".

واستطرد في عنجهية: "ستة أشهر ويسقط نظام صدام".

وللمرة الأولى منذ هروبه، خرج صوت بني صدر محذرًا حكام طهران الحمقى قائلًا: "إذا استمر الملالي في حربهم فسوف يخسرونها".

لقد أسمعت لو ناديت حيًا ولكن لا حياة لمن تنادى.

ذهب نداء بني صدر أدراج الرياح، ومثله نداء حسين منتظري الذي طلب من الخميني إيقاف الحرب بعدما حرر أراضيه من القوات العراقية؛ لأن الرد باحتلال أراضي عراقية سَيُظْهِر إيران بصورة المعتدي؛ مما سَيُؤَلِّب العالم ضدها، لَكِنَّ الخميني كان يسير وقد فَقَدَ عقله وراء عظمة الهلال الشيعي الذي لَوَّحَت له به أمريكا مستدرجةً إياه إلى حتفه، وإلى الغرب من إيران مَدَّ الخميني أذرعه إلى بلد بدأ نجم الشيعة فيها سطوعه: لبنان.

في حوزة النجف، تَلَقّى بعض الطلاب الشيعة اللبنانيين -وبالتحديد من المنتمين لحركة أمل- علومهم على يد محمد باقر الصدر، وهم: حسن نصر الله، وراغب حرب، وعباس الموسوي، وصبحي الطفيلي، وقد حضر نصر الله والموسوي بعض دروس الخميني، وعندما ضَيَّقَ النظام البعثي على الطلبة الشيعة واعتقل بعضهم وأَعَدَّ لاعتقال الباقين، هرب طلبة أمل للبنان قبل أن تطالهم قبضة صدام الحديدية.

في عام ١٩٨١م، سافر نصر الله ذو الواحد والعشرين ربيعًا إلى إيران، والتقى الخميني في قُمّ، الذي أعجب ببعد نظره وسداد رأيه واجتهاده في التحصيل العلمي؛ فعينه وكيلًا له في لبنان يقوم على شئون الطائفة من فتاوى وجمع لزكاة الخمس وخدمات تقدمها الحركة، بل زاد على ذلك بأن منحه رتبة آية الله بالرغم من حصوله فعليًا على رتبة حجة الإسلام، لكن الولاء لا الكفاءة كان معيار الخميني ومن على شاكلته من الطغاة في اختيار رجالهم.

وعلى أرض لبنان المُمَزَّق جَرَّاء حربه الأهلية الطاحنة، وجه الخميني ضربة للعراق عبر عميله نوري المالكي الذي نسف السفارة العراقية في بيروت بتنسيق مع المخابرات السورية وَلِي الخميني، ثم توجه آية الله شطر دول الخليج لينفث مزيدًا من سمومه.

اختطفت إحدى المجموعات التابعة للحرس الثوري طائرة كويتية في الرابع والعشرين من فبراير ١٩٨٢م في مطار بيروت، قبل أن تطلق سراحها بعدما فشل الخاطفون في الحصول على مطالبهم بالإفراج عن بعض المعتقلين الشيعة في السجون الكويتية، وبعد أربعة أشهر وجه الخميني ناظريه إلى لبنان مجددًا.

مع قرب انتصاف عام ١٩٨٢م، كان الخميني على علم -مثله مثل كل حكام عواصم القرار في الشرق الأوسط- أن إسرائيل بصدد شن حرب على لبنان؛ لإخراج ياسر عرفات ورفاقه من لبنان، وقد باركها الخميني لأنها ستخلصه من الوجود الفلسطيني في الجنوب اللبناني ذي الغالبية الشيعية والجزء المستقبلي من هلاله المزعوم، وبالرغم من خلافه مع زعيم أمل العلماني نبيه بري، إلا أنه استفاد منه استفادة عظيمة.

فمن ناحية وافق على تواطؤ أمل مع الجيش الإسرائيلي ما أدى لانهيار الخطوط الدفاعية الفلسطينية في الجنوب وحصار عرفات وحلفائه في بيروت الغربية، ومن ناحية أخرى رَتَّبَ لانشقاقات داخل أمل؛ ليتبرأ من جناح بري ويعيد تقديم الحركة في ثوب المنافح عن ديار الإسلام.

أثناء عقد اجتماع لأعضاء أمل المنشقين في طهران، وصلت أنباء للخميني بوقوع اشتباكات بين مسلحي الحركة التابعين لبري والقوات الإسرائيلية في بيروت الشرقية معقل الحركة، هنا قرر الخميني الدخول بثقله لِلَجم التقدم الإسرائيلي.

أصدر الخميني أوامره لهاشمي رفسنجاني نائب القائد العام للقوات المسلحة بإرسال وحدات من الحرس الثوري بقيادة محسن رفيق دوست وزير الحرس الثوري لمساعدة المتقاتلين مع إسرائيل في لبنان، وذلك بعد أن طلب من حافظ الأسد عبور هذه الوحدات إلى لبنان عبر الأراضي السورية إلى سهل البقاع ثم بيروت الشرقية، فلم يرفض حافظ للخميني طلبًا.

أطلق على هذا الفصيل الجديد اسم حركة أمل الإسلامية، وضَمَّ في عضويته أعضاء أمل المتدينين المنشقين عن الحركة الأم، مثل: حسن نصر الله، وعباس الموسوي، وصبحي الطفيلي، وراغب حرب، ونعيم قاسم، وبدأ الخميني يستخدم هذا التنظيم في مقايضة الغرب بما يحقق مصالحه.

بدأ حزب الله مهامه بقتال القوات الإسرائيلية في بيروت الشرقية ثم في جنوب لبنان بعدما تقهقرت إليه القوات الإسرائيلية، وفي السادس عشر من سبتمبر ١٩٨٢م اغتال الحرس الثوري الدبلوماسي الكويتي نجيب الرفاعي في مدريد، وفي الثاني عشر من يوليو من ذلك العام احتجز حزب الله سبعًا وستين رهينةً غربيةً، هم خمسة وعشرون أمريكيًا، وستة عشر فرنسيًا، وسبعة سويسريين، وسبعة من ألمانيا الغربية، واثنا عشر بريطانيًا؛ لمقايضة الغرب -وعلى رأسه الولايات المتحدة- للتزود بسلاح نوعي يقيم أود إيران في حربها المستعرة مع العراق.

وجه حزب الله ضربة جديدة للجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان بتفجير مقر الحاكم العسكري في صور يوم الرابع من نوفمبر ١٩٨٢م على يد أحد كوادره المدعو أحمد قصير، وبحلول نهاية ١٩٨٢م قضى الخميني على الانتفاضة الكردية ضده مرسلًا دميته صادق خلخالي لينصب المشانق مجددًا لمناوئي الولي السفيه.

وبعد مدة من إعدام صادق قطب زادة، أوفد الخميني رئيس المخابرات محمد ريشهري وصادق خلخالي وبصحبته أسد الله لاجوردي مدير السجون؛ للتحقيق مع آية الله شريعتمداري في منزله، وحقق معه ريشهري وخلخالي على مدى ثلاث جلسات في تهمة الانقلاب الملفقة التي اعترف بها قطب زادة، وعندما رفض

شريعتمداري ونهرهما؛ صفعه ريشهري على وجهه وهدده بقوله: "سنهتك عرضك أمام عينيك مالم تقل ما نمليه عليك".

عقب انتهاء التحقيقات، سجلت مقابلة مدتها أربع ساعات اعترف فيها شريعتمداري بالتهمة الملفقة، وعرض محسن رضائي وريشهري الشريط على الخميني؛ فقَطَّبَ جبينه، ورفض ما ورد على لسان شريعتمداري، وأعطى ريشهري ورضائي صيغةً مُذِلَّةً قرأها شريعتمداري عند تسجيل الشريط للمرة الثانية، جاء فيها: "أستغفر الله وأتوب إليه، أستغفر الله على هذا التقصير والقصور، وآمل ألا تتكرر هذه الأمور في المستقبل، وأن أواجه هذه الأعمال بشدة، وأطلب من سماحة آية الله العظمى الخميني أن يعفو عني بعد ملاحظة أعذاري".

عقب هذا البيان، أمر الخميني خلخالي بفرض الإقامة الجبرية على آية الله شريعتمداري ومنع الزيارة عنه، بل وحتى تلقى العلاج في المستشفى لإصابته بسرطان الكلى أصبح مستحيلًا، كل ذلك تحت شعار محاربة أعداء ولاية الفقيه.

وفيما يخص قضية الرهائن لم تُعِر حكومات رونالد ريجان في أمريكا ومارجريت تاتشر في بريطانيا وفرانسوا ميتران في فرنسا مختطفي الرهائن أيَّ اهتمام، بل اعتبرتهم إرهابيين لا يمكن التفاوض معهم، فجاء رد الخميني صاعقًا على هذا التجاهل الغربي.

الثامن عشر من أبريل ١٩٨٣م، كان نائب الرئيس الأمريكي جورج بوش في زيارة لبيروت عندما فوجئ بتفجير سفارة بلاده في العاصمة اللبنانية في نفس اليوم،

فأسرع لزيارة موقع الانفجار مُدِينًا الإرهاب الذي أوقع قتلى من أفضل عملاء المخابرات الأمريكية الذين كانوا يعقدون اجتماعًا وقت حدوث التفجير، وكانت بصمات حزب الله حاضرةً في هذا الحادث عبر قائده العسكري عماد مغنية، وبعد أقل من شهر عاد الخميني ليُشْعِلَ أجواء التوتر في الخليج.

الثالث عشر من مايو ١٩٨٣م، قصفت القوات الإيرانية ناقلات نفط كانت في طريقها للكويت؛ لتتسبب في خسارة هائلة للحكومة الكويتية انتقامًا منها لدعمها العراق في حربه مع إيران، فأدانت القوى الغربية السلوك الإيراني واصفةً إياه بالإرهاب؛ فأخرج الخميني من جعبته المزيد من أوراق الضغط ليحرج بها خصومه الغربيين.

الثالث والعشرون من أكتوبر ١٩٨٣م، هز انفجار ضخم مقر مشاة البحرية الأمريكية في بيروت؛ مُوْقِعًا مائةً وواحدًا وأربعين جنديًا، وبعد عشرين ثانيةً هز انفجار آخر مقر القوات الفرنسية التابعة لقوات الأمم المتحدة؛ فأوقع ثمانيةً وخمسين جنديًا فرنسيًا، وحملت هذه العملية أيضًا توقيع عماد مغنية، وبعد شهرين كانت فرنسا والولايات المتحدة على موعد جديد مع الانتقام الخميني.

أوائل ديسمبر ١٩٨٣م، وصل أحد أعضاء حزب الله ويدعى مصطفى بدر الدين إلى العاصمة الكويتية الكويت بجواز سفر لبناني مزور باسم (إلياس صعب) واجتمع مع عدد من شيعة الكويت من أعضاء حزب الدعوة وأتباعه من شيعة الكويت، وأشرف بدر الدين على تفخيخ السيارات التي ستقتحم بعض المؤسسات الحكومية الكويتية وسفارتي الولايات المتحدة وفرنسا، وحُدِّدَت ساعة الصفر لتنفيذ المخطط الدامي.

بين التاسعة والحادية عشرة من صباح الثاني عشر من ديسمبر ١٩٨٣م، هزت سبعة انفجارات مناطق:

١- السفارة الأمريكية في بنيد القار.

٢- السفارة الفرنسية في الجابرية.

٣- برج المراقبة بمطار الكويت الدولي.

٤- مركز المراقبة والتحكم التابع لوزارة الكهرباء الكويتية.

٥- منطقة الشعيبة الصناعية.

٦- المجمع السكني الذي يقطن فيه موظفو سفارتي أمريكا وفرنسا بمنطقة سلوى.

٧- مقر إحدى الشركات الأمريكية بمنطقة البدع.

وقد أسفر هذا التفجير عن سقوط سبعة من القتلى وأضرار مادية جسيمة؛ فترتب على ذلك سماح الولايات المتحدة لصدام حسين باستخدام السلاح الكيماوي المتمثل بغاز الخردل في حربه مع الخميني؛ مما زاد من وتيرة تقدم القوات العراقية في ميدان المعركة، وبدأت الأمور تتعقد مجددًا لدى الخميني، لَكِنَّ بدايات العام التالي حملت له انفراجة.

الثلاثون من يناير ١٩٨٤م، أعلن رونالد ريجان عن سحب قوات بلاده نهاية فبراير من ذلك العام، وهو ما تم بالفعل في التاسع والعشرين من الشهر نفسه، وبمرور الوقت ورفض أمريكا التفاوض أعدم حزب الله الرهينة الأمريكي ومدير

obeikandl.com

مكتب السي آي إيه في بيروت ويليام باكلي؛ فتسبب ذلك في مزيد من الحرج لريجان وإدارته، وفي نهاية يوليو ١٩٨٤م أضاف الخميني قائمة جديدة من الرهائن لتلك الموجودة عنده من قبل.

ففي ذلك اليوم اقتحمت مجموعة تابعة للحرس الثوري طائرة تابعة للخطوط الجوية الفرنسية بمطار طهران محتجزة مسافريها، وحددت مطالبها للحكومة الفرنسية بالتالي:

الإفراج عن الكاتب أنيس النقاش المسجون في فرنسا منذ عامين قبل أن يطلق سراح ركاب الطائرة؛ لمنح الحكومة الفرنسية فرصةً لتنفيذ هذا المطلب، لَكِنَّ ميتران وحكومته تجاهلوا ما حدث؛ فَصَعَّدَ الخميني من أفعاله العدائية.

اختطف حزب الله رهينة أمريكية هو القس لوريس جينكو في الثامن من يناير ١٩٨٥م، وفي الثاني والعشرين من مارس ١٩٨٥م اختُطِفَ نائب القنصل الفَرَنْسِيّ في لبنان مارسيل كارتون وبصحبته مرافقه مارسيل فونتان، وطالب الخاطفون وقف تدفق السلاح الفَرَنْسِيّ للعراق ووقف نشاط مجاهدي خلق على الأراضي الفرنسية، وحتى يُجَمِّل الخميني صورته القبيحة تَقَمَّصَ دور حمامة السلام.

أرسل الخميني عبر وزير الحرس الثوري رفيق دوست عرضًا لجان باران القائم بالأعمال الفَرَنْسِيّ بطهران بالتدخل لإطلاق سراح الرهائن، لَكِنَّ الحكومة الفرنسية فضلت حل الأزمة عبر البوابة السورية فباءت المحاولة بالفشل.

وفي العشرين من مايو ١٩٨٥م بدأ الخميني معركته الحاسمة في سيطرة وكلائه الشيعة على زمام الأمور في لبنان، وذلك بعد التخلص من الخصم الفلسطيني اللدود.

شَنَّت حركة أمل بمعية الجيش السوري حربًا شعواء على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، وبدأتها بمخيمي برج البراجنة وصابرا وشاتيلا في بيروت الغربية، وأتبعتها بمخيمي نهر البارد والبداوي في طرابلس، وامتد الحريق ليشمل كافة مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، واستغل الخميني الانشغال الدولي بهذه الحرب الجديدة وعاد لعبثه القديم في الخليج.

الرابع والعشرون من مايو ١٩٨٥م، سافر مصطفى بدر الدين إلى الكويت لتنفيذ الأمر الصادر عن الخميني باغتيال أمير الكويت جابر الأحمد الصباح، وفي صباح اليوم التالي -وبينما كان الأمير في طريقه لقصر السيف- مرت إلى جوار سيارة حراسته سيارة نيسان رباعية الدفع، ما لبثت أن ارتطمت بها لتنفجر موقعة خسائر جسيمة من قتلى ومصابين، وأصيب الأمير إصابة طفيفة نُقِلَ على إثرها للمستشفى بعد تلقيه العلاج اللازم، وأُلْقِيَ القبض على بدر الدين ليُزَجَّ به في السجن بعد محاكمته أمام القضاء الكويتي، في الوقت الذي اختطف فيه حزب الله فرنسيين آخرين في لبنان هما ميشيل سورا وجون بول كوفمان.

حاول الخميني تحقيق نجاح يغطي به على فشل عملية الاغتيال، وردًا على تجاهل تفاوض الولايات المتحدة معه على إطلاق سراح رهائنها وجه الخميني ضربةً جديدةً لإدارة ريجان.

الرابع عشر من يونيو ١٩٨٥م، اختطف عماد مغنية وبعض من أعضاء حزب الله المنتسبين لجماعة: (المضطهدون في الأرض) طائرة تي دبليو إيه الأمريكية من مطار أثينا، محولين وجهتها من روما إلى بيروت، حيث بَقِيَت هناك تسع عشرة ساعةً؛ مما اضطر الحكومة الأمريكية للتفاوض على إطلاق سراح رهائنها الأربع المحتجزين على متن الطائرة، لكن مغنية ومن معه أفرجوا عن ثلاثة أمريكيين وأبقوا على الرابع كورقة تفاوضية يلعب بها الخميني عند الحاجة.

وفي مسعى فلسطيني لوقف سفك دماء العزل المحاصرين في مخيمات لبنان على أيدى أمل وجنود حافظ الأسد، سافر الشيخ أسعد بيوض التميمي إلى إيران في العشرين من يونيو ١٩٨٥م؛ ليطلب من الخميني وقف الحرب و إدانة ما تفعله أمل؛ ففوجئ بموقف الخميني.

رفض الخميني طلب التميمي، وزعم أن مبادرة خليفته في ولاية الفقيه آية الله منتظري تحقق ما يرجوه ضيفه، وعلى إثر ذلك سافر التميمي غاضبًا بعدما تأكد من طائفية الخميني التي لا يجدي معها علاج.

بعد ثلاثة أسابيع من زيارة التميمي، سفك الخميني الدَّمَ السُّنّي في مكان آخر غرب إيران أيضًا وبالتحديد في الكويت، عندما فَجَّرَت عناصر شيعية أحد المقاهي الشعبية في الكويت العاصمة يوم الحادي عشر من يوليو ١٩٨٥م مُوقِعَةً أحد عشر قتيلًا، ولم يغير ميتران من سياسته تجاه أزمة الرهائن.

أصر ميتران على الوساطة السورية، وشَكَّل خلية أزمة رصد لها أربعة ملايين وخمسمائة ألف فرنك عبر وزير الدفاع السوري مصطفى طلاس ورئيس البلدية

الفَرَنْسِيّ ذي الأصل اللبناني رضا رعد الذي ساعد الفرنسيين في العثور على ما يؤكد بقاء كارتون وفونتان على قيد الحياة، لكن ذلك لم يُلَبِّ طموحات ميتران.

هاتف ميتران مراسل اللوموند وصاحب العلاقة الوطيدة بالخميني، وطلب منه فتح قناة دبلوماسية مع الخميني، وبعد خمسة أيام سافر رولو إلى طهران والتقى الخميني الذي أصر على مطالبه، ومع بداية العام الجديد لاحت بارقة أمل لحل الأزمة.

يناير ١٩٨٦م، وافقت الحكومة الفرنسية على إطلاق سراح النقاش مقابل الرهائن الأربع، ووافق حافظ الأسد على إتمام الصفقة في دمشق، لَكِنَّ الخميني الذي كان يترقب نتائج الانتخابات البرلمانية الفرنسية رفض العرض عقب اتصال المعارضة به وطلبها منه تعليق المفاوضات، ووعدها له بتحقيق كافة مطالبه عقب فوزها في الانتخابات، وبموازاة ذلك مارس الخميني مزيدًا من الضغوط على حكومة ميتران.

وقعت مجموعة من التفجيرات في فرنسا نفذتها منظمة: (المسجونين السياسيين العرب والشرق أوسطيين) التابعة لحزب الله في فبراير، فَرَدَّت السلطات الفرنسية بحملة اعتقالات في أوساط الإسلاميين المؤيدين لإيران، وخاصةً المعارضين العراقيين الذين طُرِدُوا لبغداد، حدث ذلك بينما حققت القوات الإيرانية تقدمًا في حربها مع العراق باحتلال شبه جزيرة الفاو في الخامس عشر من فبراير ١٩٨٦م.

اختطف حزب الله رهينة فرنسية جديدة هو ميشيل كودراي في الخامس والعشرين من فبراير، وفي الثامن من مارس ١٩٨٦م أُعْلِنَ عن مقتل ميشيل

سورا، وفي نفس اليوم أُعْلِنَ عن خطف فريق عمل شبكة أنتين الفرنسية في بيروت، وتوجه إيريك رولو إلى طهران من جديد، حيث التقى رفيق دوست الذي أخبره بتعليق الخميني المفاوضات انتظارًا لنتائج الانتخابات الفرنسية، وقد أثبتت الأحداث دهاء الخميني.

تولى جاك شيراك تأليف الحكومة الجديدة وكان يريد وضع نهاية صفقة الرهائن على طريقته الخاصة، وهنا ذَكَّرَه الخميني بأنه من يضع النهايات لا هو، فَفَجَّر حزب الله قنبلةً في القطار السريع بين باريس وليون في السادس عشر من مارس ١٩٨٦م، ثم قنبلةً أخرى في الشانزليزيه في العشرين من الشهر نفسه، وصلت الرسالة بعد هذين الحادثين قاسيةً لشيراك الذي رضخ لأغلب مطالب الخميني.

سلم شيراك ثلاثمائة وثلاثين مليون دولار من أصل مليار دفعها الشاه لفرنسا نظير بناء مفاعل نووي قبل عقد مضى، كما طرد مريم رجوي ممثلة مجاهدي خلق من فرنسا، غير أنه أعلن أن وقف تصدير السلاح للعراق غير وارد، فأطلق حزب الله سراح ثلاث رهائن وأبقى على أربعة آخرين حتى يراجع شيراك نفسه.

حقق القدر إنجازين آخرين للخميني، أما الأول فهو وفاة عدوه اللدود آية الله شريعتمداري في الثالث من أبريل ١٩٨٦م بعد أن أنهك سرطان الكلى جسده المُسِنّ ودُفِنَ في حراسة المخابرات لتخلو الساحة للخميني، أما الإنجاز الثاني فهو موافقة إدارة ريجان على منح إيران السلاح الذي تحتاجه بعد وساطة شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل السابق التي استمرت عامًا، فأطلق الخميني سراح بعض الرهائن الأمريكيين كبادرة حسن نية، وعاد ليحاول تحقيق ضلاله القديم كزعيم للخليج.

كانت الساحة التي اختارها هذه المرة لممارسة إجرامه هي مكة المكرمة أقدس بقاع الأرض وفي موسم الحج؛ ليحيل دعوته التي أطلقها مع انتصار الثورة الإيرانية واقعًا، وذلك بأن يحج المسلمون إلى قُمّ، ويصلون باتجاه مرقد الحسين في كربلاء، في رِدَّةٍ صريحة عن الإسلام الذي أُنْزِلَ على محمد -صلى الله عليه وسلم-.

بدأت أحداث هذه الجريمة عندما هبطت إحدى طائرات الحجاج الإيرانيين بمطار جدة يوم الثامن من أغسطس ١٩٨٦م، الثالث من ذي الحجة ١٤٠٦ هجرية، وعندما مُرِّرَت حقائبهم على أجهزة التفتيش اشتبه بها أمن المطار؛ ففتشت يدويًا، ليُعْثَر في حقائب خمسة وتسعين مسافرًا على نصف طن من مادة التيميكس شديدة الانفجار داخل الجيوب السفلية لحقائبهم، وشُكِّلَت لجنة للتحقيق استجوبت محمد حسن على دهنوي رئيس البعثة، الذي اعترف بوضع السلطات الإيرانية هذه المواد في حقائب الحجيج دون علمهم تنفيذًا لأوامر الخميني، لَكِنَّ دهنوي ألقى على مسامع المحققين خبرًا امْتُقِعَت له ألوانهم.

فقد أخبر دهنوي المحققين أن سبعة عشر كويتيًا زرعوا هذه المادة داخل الحرم المكِّيّ وحوله، فأعلمت وزارة الداخلية خبراء المفرقعات الذين فككوا المتفجرات المزروعة داخل الحرم، لَكِنَّهم فَشِلُوا في تفكيك المتفجرات حول الحرام؛ مما أوقع عددًا من القتلى والمصابين، قبل أن يُلْقَى القبض على السبعة عشر كويتيًا المتهمين، والذين أدلوا باعترافات تفصيلية حول المهمة الموكلة إليهم من الخميني، وسَبَّبَ ذلك أزمة سياسية بين السعودية وإيران، وما هي إلا أشهر

قليلة حتى تَفَجَّرَت فضيحة هزت قداسة آية الله، وكادت تعصف برونالد ريجان من البيت الأبيض.

بعث مهدي هاشمي رئيس مكتب حركات التحرر بالحرس الثوري بوثائق حول صفقات السلاح الأمريكية التي تسلمتها إيران بوساطة الدولة العبرية إلى خليفة الخميني آية الله منتظري، الذي أرسلها بدوره إلى صديقه آية الله الشيرازي، وفي الثالث من نوفمبر ١٩٨٦م، نشر الصحفي اللبناني الشيعي حسن صبرا رئيس تحرير مجلة الشراع هذه الفضيحة، بعدما وصلت إليه الوثائق من شابين شيعيين سعوديين من تلاميذ الشيرازي التقاهما في دمشق، وتحول التحقيق المنشور لفضيحة عالمية.

نفى رأس النظام الإيراني صحة ما أوردته الشراع، بينما فتح الكونجرس الأمريكي تحقيقًا حول ما أوردته المجلة، استمعت لشهادات ريجان وأعضاء إدارته، وانتهى الأمر في الخامس والعشرين من ديسمبر ١٩٨٦م بتوجيه الكونجرس اللوم لريجان على ما فعله؛ لانتهاكه القانون الذي أدرج إيران كدولة راعية للإرهاب، أما في إيران فقد عالج الخميني الأمر على طريقته.

العاشر من يناير ١٩٨٧م، دعا الخميني مسئولي النظام وخليفته آية الله منتظري ليسلمهم نسختين من وصيته "الإلهية" المعدلة المختصة بنظام الحكم بعد وفاته؛ لتُسَلَّم نسخة منها لمجلس النواب، وتُسَلَّم الأخرى للحضرة الرضوية في خراسان، ولم يَدُر بخَلَد منتظري أن الخميني يتهيأ للانتقام منه.

بعد عدة أشهر من هذا اللقاء، أُلْقِيَ القبض على مهدي هاشمي وعُزِل من منصبه في الحرس الثوري، قبل أن يحاكمه صادق خلخالي ويحكم عليه

بالإعدام بتهمة القيام بأنشطة تضر بالأمن القومي، وفي الحادي والثلاثين من مايو ١٩٨٧م ارتكب الحرس الثوري جريمةً جديدةً تنفيذًا لرغبات الخميني.

في ذلك اليوم وضع أحد أفراد الحرس الثوري مادة شديدة الانفجار في مزهرية وضعت أمام د/ إحسان إلهي ظهير العالم الباكستاني الذي فضح ممارسات الشيعة عمومًا وجرائم نظام الخميني على وجه الخصوص خلال حضوره مؤتمر للعقيدة بلاهور، وبانفجار المزهرية أصيب ظهير إصابة بالغة نقل على إثرها للمدينة المنورة ليعالج في مشفاها، لَكِنَّه تُوُفِّيَ بعد وصوله بفترة قصيرة مصابًا بتسمم في الدم، وهكذا نفذ الخميني وعيده وقطع رأس ظهير دون أن يدفع مائتي ألف دولار لمن سيقطعها له كما وعد سابقًا، وعلى جبهة الحرب مع العراق طرأ تطور لافت.

الرابع والعشرون من يوليو ١٩٨٧م، أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٥٩٨ بوقف إطلاق النار بين العراق وإيران، فَقَبِلَ به صدام حسين، لَكِنَّ الخميني رفضه معلنًا أنه لم يكن هو من بدأ الحرب، وبغروره الفارسي المعهود أعلن الخميني أنه مستعد لمحاربة العراق لعشرين عامًا، وبعد أسبوعين عاد الخميني لينفث حقده في بيت الله الحرام.

خلال موسم الحج لذلك العام، تجمع الحجاج الإيرانيون وعقدوا تجمعات خطابية ووزعوا منشورات مؤيدة للخميني، وحملوا معهم سكاكين وآلات حادة، كما نَظَّمُوا مسيرةً ضمت مائةً وخمسين ألف حاجٍ شملت إلى جانبهم آلاف الحجاج الشيعة من العراق ودول الخليج ولبنان، أُطْلِقَ عليها مسيرة البراءة من المشركين، لكنهم كانوا يحاولون هدم البيت الحرام -والعياذ بالله-، فتصدت لهم الداخلية، ومنعتهم من الوصول للحرم المكي، ووقعت مصادمات عنيفة بين

الجانبين سقط خلالها أربعمائة قتيل من الحجاج المتظاهرين، ومرة أخرى حاول الخميني إحراج السعودية.

احتُجِزَ عددٌ من الحجاج الإيرانيين كرهائن، وقُتِلَ منهم مائتان وخمسون حاجًّا، فاتهم الخميني السعودية بارتكاب هذه الجريمة، لَكِنَّ مهدي كروبي المحسوب على المعارضة الإصلاحية كشف أن الخميني من دَبَّرَهَا، والمنفذ هو الحرس الثوري.

تعقدت الأمور على جبهة الحرب مع العراق، وحَرَّرَ الجيش العراقي ميناء الفاو بمساعدة القوات المصرية في السابع عشر من أبريل ١٩٨٨م، وارتكب الجيش العراقي عدة مجازر بغاز الخردل، وأُنْهِكَ الجيش الإيراني في ظل الدعم العربي والغربي المستمر لصدام حسين، وبدأ مسئولو النظام وعسكريوه يفكرون في كيفية الخروج من آتون الحرب بطريقة تحفظ ماء الوجه.

أرسل الخميني صديقه آية الله مصباح يزدي للقاء الرئيس بني صدر في باريس يوم العشرين من مايو ١٩٨٨م، طالبًا منه إملاء طلباته حتى يعود لإيران؛ ليعيد مع أركان النظام بناء إيران، فرفض بني صدر، وعندما عاد إليه يزدي بعد شهر جَدَّدَ بني صدر رفضه العودة طالما بقى النظام على حاله.

بعد فترة، وجه محسن رضائي قائد الحرس الثوري رسالةً لنائب وزير الدفاع ومستشار الخميني هاشمي رفسنجاني يطلب فيها إيقاف الحرب مع العراق دون كتابة اسم رفسنجاني، الذي تَوَجَّه بدوره بهذا الخطاب للخميني على أنه موجه إليه، طالبًا منه إعلان وقف إطلاق النار بنفسه أو يعلنه هو بنفسه ويُحَاكَم، فرفض الخميني، وخرج ليعلن بنفسه في العشرين من أغسطس ١٩٨٨م تَجَرُّعَ

كأسَ السُّمِّ والموافقة على القرار ٥٩٨، ليخرج من حرب الثماني سنوات خالي الوفاض فاشلًا في تصدير ثورته المزعومة.

التاسع والعشرون من مارس ١٩٨٩م، أرسل الخميني رسالةً لمنتظري أعلمه فيها أنه لن يكون الولي الفقيه التالي له، ليكمل بذلك الحلقة الأخيرة من مسلسل تصفية خصومه، وحتى يزيل الدهشة لدى الشعب الإيراني أعلن أن منتظري طلب في السابع من يناير ١٩٨٩م الإعفاء من هذا المنصب مفضلًا العودة للتدريس بحوزة قُمّ، وفجأة -وبدون مقدمات- تدهورت صحة الخميني بشكل ملحوظ.

الرابع والعشرون من مايو ١٩٨٩م، دخل الخميني مستشفى ضاحية جمران حيث خضع لفحوص الأطباء التي أثبتت إصابته بسرطان في المعدة في مراحله الأخيرة، وخلال الأيام الأخيرة لشهر مايو أصيب الخميني بنزيف داخلي حاد فشل الأطباء في إيقافه لتوافيه المنية مساء السبت الثالث من يونيو ١٩٨٩م.

وخلال تشييع جنازته التي حضرها تسعة ملايين إيراني مُزِّقَ كفنه سبع مرات حتى ظهرت عورته، وسقطت الجثة ثلاث مرات على يد المشيعين، وهي دلالة على سوء خاتمته من كتب الشيعة التي قالت: "إن الميت في النار إذا سقط خلال تشييعه"؛ حتى اضطُرَّ المسئولون لحمل الجثة في مروحية لدفنها بعيدًا عن تناوش المشيعين، وهكذا نال الخميني جزاءه في الدنيا، ولَعَذَاب الآخرة أشد وأبقى.